

نصرة نبي الرحمة في يوم مولده الشريف

الدكتور عماد بن عامر

أستاذ بمعهد القراءات، وإمام الجامع الكبير بالجزائر



على الأذى لأجل الأداء، وعودي
في سبيل الله من العشيرة والأقرباء،
وأخرج من أرض الله المباركة قسرا،
فاستخفى عن أعين الأعداء بالظلماء،
وقطع المفاوز والبيداء، إلى أن وصل
إلى طيبة الطيبة، طيب الله ذكرها في
الأرض وفي السماء، اللهم إنا نشهد أنه
قد بلغ وأرشد، ونصح وهدى، واقتفى
سنن من قبله من الأنبياء، صل اللهم
وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه،
ومن اقتفى أثره إلى يوم اللقاء، أما
بعد:

ضيوفنا الكرام: أصحاب السعادة

يسرّ هيئة تحرير مجلة رسالة المسجد
أن تنشر هنا نص الدرس الذي ألقى
في الجامع الكبير بالجزائر العاصمة
بمناسبة الاحتفال بليلة المولد النبوي
الشريف، في عام 1430هـ/2009م.

الحمد لله ذي الجلال والكبرياء،
المتفرد بالبقاء، قضى على كل شيء
بالزوال والفناء، أحمدته سبحانه وتعالى
حمدا ملأ الأرض والسماء، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفضل
على عباده بألوان الإحسان والنعماء،
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،
اصطفاه ربه لتبليغ رسالة السماء، فصبر

ويهديهم سبل السلام.

وبعدما رفع روح الله وكلمته عيسى بن مريم-عليهما السلام- إلى السماء، وابتعدت البشرية عن الحنيفية السمحاء، وعبدت الأصنام من دون الله، ورجع الناس إلى ما كان عليه أسلافهم في عهد نوح وإبراهيم-عليهما الصلاة والسلام-، وطمست معالم التوحيد، وطال ظلام الجاهلية الدامس، شئت الإرادة الإلهية أن تبعث من العرب رجلاً حسيباً نسياً صادقاً أميناً، من أفضل بطون قريش- بني هاشم-فاصطفت محمد بن عبد الله، عليه أفضل صلوات الله وسلامه: إنه الرسول العظيم، دعوة أبينا إبراهيم، وبشارة روح الله عيسى، ونور رآته أمه يخرج منها أضواء له قصور الشام. ويزغ نور الحق ببعثة المصطفى، ويبدأ ظلام الجاهلية في الانقشاع والتبدد، وتشرق شمس الهداية الإلهية، وتتنزل النفحات الربانية، ويفتح التاريخ صفحة جديدة وضاءة: إنه عهد جديد:

أعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين ببلدكم الثاني الجزائري، السادة أصحاب المعالي الوزراء، السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف، الإخوة الأكارم: أساتذة وأئمة، وكل من يحضر مجلس الخير هذا، ومن يشاهدنا من أجرة في قاصي الأرض ودانيتها، أحييكم بتحية الإسلام العطرة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته، ثم أما بعد:

فقال الله تعالى في محكم التنزيل:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
الأنبياء: ١٠٧.

إخوة الإسلام! لقد اقتضت حكمة الله وإرادته أن يتعاقب على بني آدم رسل وأنبياء، يبلغون رسالات الله، ويوقعون عنه الشرائع والأحكام، كلما هلك نبي أو رسول، وفتر الوحي، وخبا نور الهداية، وبعد الزمن عن بعثة الرسل، وانحرف الناس عن طريق الله القويم، إلا وجدد الله معالم التوحيد، وقبسات الإيمان، ببعثة رسول من الرسل: يبشر الناس وينذرهم، ويعلمهم ويزكيهم،

عهد ارتبطت فيه الأرض بالسماء بعد انقطاع طويل، وينزل أمين الوحي في السماء-جبريل عليه السلام-على أمين الوحي في الأرض-محمد عليه الصلاة والسلام-بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ العلق: ١، ثم يؤمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بكلمة الحق، ويبلغ رسالات الله، ﴿فَأُصْدِعْ بِمَا تُمِئُّرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر: ٩٤، وتصطدم الدعوة الجديدة بعناد قريش وجبروتها، فأعلنوها حرباً لا هوادة فيها على الدين الجديد الذي سفه أحلامهم، وحط من كبريائهم وخيلائهم، وعاب آلهتهم، فيلاقي النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام صنوف العذاب وألوان الفتن، وتصل جرأة قريش إلى التآمر على حياة المصطفى عليه السلام، فيأذن الله لصفهيه بالهجرة إلى المدينة المنورة، وتستضيفه طيبة أحسن ضيافة، وتحضن دعوة الإسلام:

أشرق البدر علينا

من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا

ما دعا الله داع

أيها المبعوث فينا

جئت بالأمر المطاع

وتغدو مدينة رسول الله منطلقاً

للتبليغ، ومنبعاً للهدى، ومنارة للإشعاع

الحضاري، وبعد جولات وصولات

بين جند الرحمن وجند الشيطان، ما

بين انهزام وانتصار، وقرح وفرح،

يجيء اليوم المبارك الأغر الذي يدخل

فيه النبي صلى الله عليه وسلم مكة

فاتحاً منتصراً، وفي عظمة القائد، يذكر

قومه بما فعلوه في سالف أيامهم في

حق نبينهم... وهم ينتظرون القصاص

العدل بأفواه واجمة، وقلوب وجلة،

تنطلق حنجرة رسول رحيم رؤوف:

(اذهبوا فأنتم الطلقاء)، ما أروعها من

كلمات معبرة، انتصر فيها النبي صلى

الله عليه وسلم على نفسه، وتخرق

هذه الكلمات العظيمة القلوب، فتفتح

أقفالها، ويدخل الناس في دين الله

أفواجا.

يعلنونها صراحة، لا شائبة فيها: فذاك
أبا القاسم، بآبائنا وأمهاتنا، وأنفسنا
وأولادنا.

صلى الله عليك يا علم الهدى،
ما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك
الغافلون.

وتعلم البشرية قاطبة مدى حب
الأمّة لرسولها، وتعلقها بنبينا، وأيقظت
هذه الإساءة الشعور النائم في وجدان
المسلمين، وخدمت قضيتنا خدمة
جليلة، فربطت الأمّة برسولها، وعرفت
العالم بتعاليم دينها، وكانت المنحة
في المحنة، وتجلت النعمة في النقمة،
وصدق الله إذ يقول: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا
شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢١٦.

وأكرم بهبة أمّة الإسلام غضبا
للإساءة لرسولها العظيم، وليست منة
تمن بها عليه، بل هو حق من حقوق
المصطفى عليه الصلاة والسلام، أوجه
الله على أمته، أوليس قد تعب النبي

صلى الله عليك يا علم الهدى، ما
أشرقت الأنوار، وما تعاقب الليل والنهار
وما أشبه اليوم بالبارحة: بالأمس أودي
النبي صلى الله عليه وسلم، إذ نعتته
قريش بالكاهن والساحر، والمجنون
والشاعر والمبتور، فغضب الله لنبينا،
ورد كيد الكائدين في نحورهم، وأعلى
ذكر رسوله في العالمين، "وما هو
بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول
كاهن قليلا ما تذكرون"، "إنا أعطيناك
الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك
هو الأبتر"، ورفع اسمه مقرونا باسمه
العظيم على حناجر المؤذنين إلى يوم
الدين: "وأشهد أن محمدا رسول الله".

ويعيد الزمان نفسه: ويترجم
أعداء الرسول حقدهم الدفين في
الإساءة الصارخة لمبعوث المحبة
والسلام، والأمان والاحترام بين بني
الإنسان، فتهب أمّة الإسلام هبة رجل
واحد لنصرة الرسول العظيم محمد،
وتسمع البشرية صوت أكثر من مليار
مسلم في مشارق الأرض ومغاربها،

إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي في شتى المجالات، لأن الأمة لا تحترم و لا يحسب لها حساب إلا إذا كانت في مستوى الأمم الأخرى علما وتحضرا وقوة، هذا أدنى ما تقدمه الأمة الإسلامية في سبيل نصره رسولها الكريم، صلوات ربي وسلامه عليه، وهو واجب ستسأل عنه يوم القيامة حفظته أم ضيعته.

أمة الإسلام: إن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هدى ونور، وتعليم وتزكية، وسمو بالأخلاق إلى مصاف الملائكة الأطهار، ولقد جمع القرآن الكريم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في كلمات وجيزة: "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين".

لقد ربى المصطفى عليه الصلاة والسلام جيل الصحابة على حب القرآن الكريم، وتعلمه وتعليمه،

صلى الله عليه وسلم لأجلها، وضحي في سبيلها بنفسه وماله وجهده، إلى أن توفاه الله وقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة على أتم وجه وأكملة، ولم يبق بيت وبر ولا مدر ولا حضر إلا دخله شعاع الحق.

والسؤال الذي نطرحه على أنفسنا اليوم: هل حولنا هذا الشعور المتدفق، والأحاسيس الجياشة التي انفجرت من أعماق المسلمين إلى عمل فعال، نفتخر به يوم القيامة، حين يستوقفنا رسول الله بين يدي ربنا تبارك وتعالى، فيقول يا رب: سل عبادك ماذا قدموا لنصرتي؟ وماذا عملوا لأجل إعلاء سنتي؟

إن الواجب على أمة الإسلام- قيادات وشعوبا- نصره لرسولها ولدينها: هو الانطلاق قدما نحو الأمام في عملية البناء الحضاري، وتطبيق التخليف الذريع الذي تتخبط فيه الأمة من قرون، والخروج من التبعية للدول المهيمنة في جميع الميادين، والوصول

وقد فهمت أمتنا هذا المعنى الجليل، فانكبت على خدمة كلام رب العالمين: بطباعة المصحف الشريف، وتنظيم المسابقات الوطنية والدولية لحفظ القرآن وتجويده وتفسيره، وعقد الملتقيات والندوات، كل ذلك تم بأمر من فخامة رئيس الجمهورية-حفظه الله-وجسده الوزارة الوصية تحت إشراف وزيرها السيد بوعبد الله غلام الله في أرض الواقع.

وغدت بلادنا-بفضل الله ورعايته- قبلة للمتسابقين من حملة القرآن الكريم، يتنافسون في أجواء طيبة، يتسمون رحيق الآيات البينات، وتطرب آذانهم بحلاوة مزامير القارئین والقارئات، وتترنم أفئدتهم بمعانيه الخالدات، وتسمو أرواحهم في معارج نفحاته المباركات.

وتجسيدا لأمر فخامة رئيس الجمهورية بإقامة مسابقة وطنية، قامت الوزارة الوصية بتنظيم فعاليات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم في حلته السابعة،

والعمل بأحكامه، فعمل صلى الله عليه وسلم جهده على ربط الأمة بكتاب ربها: ترتيلا وفهما وتدبرا، واستنباطا وعملا، وحين تمسكت الأمة بتعاليم القرآن بلغت ما بلغت من كمالات وانتصارات في شتى مناحي الحياة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي".

فكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداء من خلف

وكل هدي للنبي قد رجح

فما أبيع افعل ودع ما لم يبيع

فتابع الصالح ممن سلفا

وجانب البدعة ممن خلفا

إن للقرآن منزلة رفيعة في قلوب المسلمين، فهو النور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم.

ترجمها ألسنتنا في الصلاة والسلام
على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة،
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا رب صل وسلم دائمين على
حبيبك المصطفى كنز الحقيقات

يا رب صل بأعلى ما تكون على

يا رب صل بتسليم على قمر

جالى دياجي الهوى نافي الضلالات

يا رب صل على المحمود شافعنا

عد الحصى والثرى عد النباتات

يا رب صل على من نالها أزلا

حبيبك المرتضى داني القطوفات

يا رب صل صلاة لا انتهاء لها

على نجيك من أعلى السماوات

يا رب صل صلاة ما تطهرنا

من الذنوب على قاضي اللبانات

هذا هو الخاتم المختوم ما سبقت

به لكل الورى كل الرسالات

هذا هو المصطفى المختار خير بني

وقد أفرزت التصفيات اختيار أحسن
المتسابقين المرشحين لتمثيل ولاياتهم
في مسابقة المولد النبوي.

وأخيرا لا يسعنا إلا أن ننوه
بالجهود الجبارة التي تبذلها بلادنا
العزيزة ممثلة في وزارة الشؤون الدينية
والأوقاف لخدمة كتاب الله، وتشجيع
حملته ماديا ومعنويا، ويكفي القائمين
على هذه المبادرات الطيبة شرفا أنهم
فهموا حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعملوا بمقتضاه: "إن من إجلال
الله تعالى: إكرام ذي الشبهة المسلم،
وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي
عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط".

فأعظم بمن أكرم حملة القرآن
وتعهدهم، وبشره بأنه قد أجل الله
وعظمه حق التعظيم، وحق لمن عظم
الله أن يرفع الله من شأنه، ويعلي من
قدره، ويجعل له ذكرا في العالمين.

وخير ما نختم به نفحات هذا
المجلس المبارك، ترنيمات تنبع من
قلوبنا، نضمنها حبنا العظيم لرسولنا،

الكريم، واجعله شافعنا يوم الدين،
وقائدنا إلى جنات النعيم، وشفع فينا
رسولك ونبيك محمدا صلى الله عليه
وسلم.

اللهم أصلح حال البلاد والعباد،
وأبعد عنه الفتن والمحن ما ظهر منها
وما بطن، وخذ بناصية القائمين عليه
للبر والتقوى.

اللهم إنا نسألك الإصلاح في
الولد، والعافية في الجسد، والأمن في
البلد. أشكركم على حسن الاستماع
والإنصات، وجعلنا الله وإياكم ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه،
وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن
لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك،
والسلام ختام.

عدنان من خير أخيار الخليقات
هذا هو العروة الوثقى فمعتصم
به فمتصل دون انفصالات
هذا هو الكنز أعظم يا لواجده
به هنيئا له كل البشارات
هو النبي الرسول الأمي العربي
من لب لب قريش خير خيرات
عباد الله إني داع فأمنوا:

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع
قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا،
وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم ألبسنا
به الحلل، وأسكننا به الظلل، واجعلنا
به عند الجزاء من الفائزين، وعند
النعماء من الشاكرين، وعند البلاء من
الصابرين، اللهم انفعنا ببركات القرآن

